

الفصل في الملل والأهواء والنحل

السلامة لهم لا قدم صدق لهم في الاسلام ولا في الورع ولا في الاجتهاد في الخير ولا في العلم بالقرآن ولا بسنن رسول الله ﷺ ولا بما أجمع عليه المسلمون ولا بما اختلفوا فيه ولا بأقوال الصحابة والتابعين بهم أجمعين ولا بحدود الكلام وحقائق مائيات المخلوقات وكيفياتها فهم يتبعون ما ترى لهم ويقتحمون المهالك بلا هدى من الله ﷻ نعوذ بالله من ذلك وقد قال تعالى ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فنص تعالى على أن من لم يرد ما اختلف فيه إلى كتابه وإلى كلام رسوله ﷺ وإلى إجماع العلماء من الصحابة والتابعين بهم أجمعين ولا من سلك سبيلهم بعدهم فلم يعلم ما استنبطه بطنه ورأيه وليس ننكر الحاجة على القصد إلى تبيين الحق وتبيينه بل هذا هو العمل الفضل الحسن وإنما ننكر الإقدام في الدين بغير برهان من قرآن أو سنة أو إجماع بعد أن أوجبه برهان الحس وأول بديه العقل والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة من صحة التوحيد والنبوة فإذا ثبتا بما ذكرنا ضرورة العقل توجب الوقوف عند جميع ما قاله الرسول الذي بعثه الله ﷻ تعالى إلينا وأمرنا بطاعته وأن لا يعترض عليه بالظنون الكاذبة والآراء الفاسدة والقياسات السخيفة والتقليد المهلك فإن قال قائل وما الذي يمنع من أن نقول لم يزل الله ﷻ مريدا لما أراد كونه إذا كونه قلنا وبالله ﷻ تعالى التوفيق يمنع من ذلك أن الله ﷻ أخبرنا بأنه إذا أراد شيئا كونه فكان فلو كان تعالى لم يزل مريدا لكان لم يزل ما يريد وهذا إلحاد ويقال لهم أيضا وما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم فقال لم يزل الله ﷻ تعالى غير مريد لأن يخلق حتى خلق وهذا لا انفكاك منه .

قال أبو محمد ولو أن قائلًا يقول أن الخلق هو المراد كونه من الله ﷻ تعالى فهو مراد الله ﷻ تعالى وهو الإرادة نفسها وأنه لا إرادة له إلا ما خلق لما أنكرنا ذلك وإنما ننكر قول من يجعل الإرادة صفة ذات لم تزل لأنه يصف الله ﷻ تعالى بما لم يصف الله ﷻ تعالى به نفسه وقول من يجعلها صفة فعل وأنها غير الخلق لأنه يلزمه أن تلك الإرادة إما مرادة مخلوقة وإما غير مرادة ولا مخلوقة فإن قال هي مرادة مخلوقة قيل له أي مرادة بإرادة هي غيرها ومخلوقة بخلق هو غيرها أم لا بإرادة ولا بخلق فإن قال هي مرادة بلا إرادة أتى بالمحال الذي يبطله العقل ولم يأت به نص فيلزمه الوقوف عنده وكذلك قوله مخلوقة بغير خلق وإن قال هي مرادة بإرادة هي غيرها ومخلوقة بخلق هو غيرها لزمه في إرادة الإرادة وخلق خلقها ما ألزمناه في الإرادة وفي خلقها وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددتها وهذا هو قول الدهرية الذي أبطله الله ﷻ تعالى بضرورة العقل والنص على ما بينا في صدر كتابنا وبالله ﷻ تعالى

التوفيق فإن قال أن الإرادة ليست مرادة ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة العقل لأن القول بإرادة غير مرادة محال غير موجودة لا بحس فيما بيننا ولا بدليل فيما غاب عنا فهو قول بمجرد الدعوى فهو باطل ضرورة وكذلك يلزمه أن قال أنها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال أن العالم محدث لا محدث له وقد تقدم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية وباءً تعالى التوفيق وأما تسمية □ D جوادا سخيا أو صفته تعالى بأن له تعالى جودا وسخاء فلا يحل ذلك البتة ولو أن المعتزلة المقدمين على تسمية ربهم جوادا يكون لهم علم بلغة العرب أو بحقيقة الأسماء ووقوعها على المسميات أو بمعاني الأسماء والصفات ما أقدموا على هذه العظيمة ولا وقعوا في الائتساء